النقـــد والشعر

للأستاذ سامي أمين

في العدد (٩٤٥) من مجلة (الرسالة) يقول في الافتتاحية الأستاذ الناقد سيد قطب عن الشعر (إنه الغناء . الغناء المطلق بما في النفس من مشاعر وأحاسيس وانفعالات . حين ترتفع هذه المشاعر والأحاسيس عن الحياة العادية ، وحين تصل هذه الانفعالات إلى درجة التوهج والإشراق ، أو الرقة والانسياب على نحو من الأنحاء . .

(ولسائل أن يسأل : أو ننفي الفكر من عالم الشعر أيضا ؟ ولست أتردد في الإجابة : إن هذا الفكر لا يجوز أن يدخل هذا العالم إلا مقنعا غير سافر . ملفعا بالمشاعر والتصورات والظلال . ذائبا في وهج الحس والانفعال . أو موشى بالسبحات والسرحات .. ليس له أن يلج هذا العالم ساكنا باردا مجردا)

ومن هذا الشعر القصيدة التالية المختارة من ديوان (أنفاس محترقة) للشاعر الأستاذ أبو الوفا . . وعنوانها (في انتظار الصباح) :

جدد لي الأقداح يا ساقي الراح
على أرى في الراح أطيـــاف أفراحي

• • •

في مزهري ألحان أخشى أغنيهـــا
أخشى على الأوتار من هول ما فيها

• • •

يا مزهر الأقـــدار فن بهـا غنى
واشرح على الأطيار ما غاب من فنى

• • •

لكل يوم شراب لابد من كاسه
وكل معنى العـذاب في لون إحساسه

من ذا يرد الصواب للدهر في ناسه

• • •

للغاب يا ابن الغاب اهرب فداك الواح
تبا لضعف التراب أفرى عليـه الرياح
لولاي في ذا الإهاب ما هيض مني الجناح

• • •

لا تسألوا يا شهود عن حكمة الأقدار
وأين نحن العبيد عما وراء الستار
ومن تخطى الحدود يلق به في النـار
(النار ذات الوقود) يا رب يا ستـار
ربان بحر الوجود أدرى بموج البحار
فاستسلموا للوعود وامضوا مع التيـار

• • •

هات اسقني يا صاح كأس الهوى الفضاح
سكران لكن فؤادي عما يعانيه صاح
يا ليل هل من مداو يا ليل.. يشفي جراحي
لم يجد فيك اصطباري وليس يجدي نواحي
يا هل ترى لي صباح أم ليس لي من صباح

• • •

هـذا الهذيان المطلق الذي لا تربط بينه قافية واحدة ولا فكرة واحدة (إنما تربط تلك النغمة المنسابة . . نغمة الروح الحزين .. العابث .. المتطلع .. الأليف .. الوديع .. روح الفراشة البيضاء والعصفور الراقص المزقزق الصداح) . . على حد قول الأستاذ . .

هذا الغناء الذي يتكلفه الأستاذ الناقد .. فيريد الشعر بهذا الشكل المشوه المسوخ . . لارابط بين مقاطع القصيدة الواحدة . . ولاملامح متقاربة من قريب أو بعيد .. فهي أمشاج وتهاويل .. فن الراح والأقداح إلى النواح وإلى حكمة الأقدار والنار ذات الوقود وإلى ما لا أدري من لغو منظوم لو تجرأ واحد فعرضه على مجلة مهمة محترمة كالرسالة مثلا لاتهموه بالجنون . . أقول هـذا

العناء الذى تكلفه الأستاذ لم يكن له من باعث سوى إظهار أحد الشعراء وفرضه على القراء بغير إنصاف .. وهكذا نرى أن نقادنا اليوم — للأسف — لا ينظرون إلى الشعر وإنما ينظرون إلى الشاعر فيحسبون لهذا ولذاك ألف ألف حساب ..

ثم من تلك الخواطر المتناثرة والاهتياجات المتدفقة التى نظمها أبو الوفا يقول الأستاذ سيد قطب إنها (ظاهرة فنية) تلد بين الحين والحين وليس النقد الفنى عندنا من النضج بحيث يتناولها بالتعهد والرعاية كيما يكون لها كيانها الخاص فيما بعد . ولست أطلب إلى الأستاذ الناقد إلا أن يلقى نظرة على أى محاولة فاشلة يقدمها شاعر ناشئ فى مطلع حياته الأدبية والفكرية فسيجدها ولا شك (ظاهرة فنية) فريدة تستحق الإعجاب ..

والآن أقدم شاعرا (مغموراً) نشر ديوانا قبل زمن قصير يحوى ستا وثلاثين قصيدة ، وقدم نسخا منه إلى النقاد ودور الصحف والمجلات فى مصر ، فلم يلتفت إليه أحد ولم يظهر له اسم. وليس له من ذنب سوى أنه من البلدان المتأخرة، من العراق ... فأما أبو الوفا الذى يقدمه الأستاذ سيد قطب (على الصفحات الأولى من الرسالة) فهو من أرض الكنانة مصر بلد (المتقدمين) ..

يقول شاعرنا الأستاذ (شاذل طاقة) فى مفتتح ديوانه (المساء الأخير) هذه الكلمات (لله هؤلاء الشعراء .. شياطين عبقر .. فإنهم يألمون مرة ثم يحيون الألم مرة أخرى .. فكأنهم يألمون مرتين) وهذه أصدق وأدق كلمة تقدم ديوانا من الشعر

ثم هذه بضع من قصائده .. وليتفضل فيقارنها من يشاء بالنماذج التى أوردها الناقد الكبير سيد قطب من شعر أبى الوفا فى مقاله .. وليقل بعدئذ من يشاء بأننى أتهم الأستاذ سيد قطب وسواه من النقاد فى مصر بالهابة كذباً وافتراء ...

هذه إحدى قصائد الأستاذ الشاعر (شاذل طاقة) وعنوانها (ظمأ) .. وهى تصوير رائع للظمأ السرمدى الذى يحسه الإنسان فى أعماقه إلى الجمال ..

أذوب قلبى أم أصون لسانى ... وأعذل نفسى أم أذم زمانى
لك الله يادنيا فلا حسنك انتهى ... ولا القلب من أشواقه بأمان
ولا أنا عن بث اللواعج منته ... ولا لك فى وقف العذاب يدان
أناديك مبحوح النداء وأنثنى ... أنوء بما قاسيته وأعانى
طبعت على عشق الجمال فلا أرى ... مع الحسن إلا دائم الهيمان
أحوم كما حام الفراش على اللظى ... وأقضى ولا أنفك من حومانى
أموت وفى نفسى من الحب غلة ... أبت ريها الأيام فى ريعانى
وأمضى إلى ربى أبث شكايتى ... وعلى الحشا ناراً تذيب جنانى

* * *

أعتقد أننى فى غنى عن تحليل هذه الأبيات العالية الرائعة فهى تصور وضع الإنسان بين الحسان فى هذه الحياة ولوعته الدائمة وتعطشه الأبدى ، وعدم استقراره .. ومن ثم حيرته وشكاته ...

وأمضى إلى ربى أبث شكايتى ... وعلى الحشا نار تذيب جنانى

ثم يلاحظ فى هذه القصيدة أنها متماسكة المبنى والمعنى ، مترابطة الأوصال ، ذات وحدة فنية تشد القارئ إليها شدا .. فليس فيها من التفسخ المعنوى والاضطراب الفكرى والضعف البيانى شئ ..

وهذه قصيدة أخرى بعنوان (توبة) .. بل هذه قصة الإنسان المخطئ حين يؤوب مثقلا بذنوبه إلى الله مستغفرا ... يقدمها الشاعر ناظمها بهذه الكلمات (لا يفزع الإنسان إلى ربه إلا حين يخطئ فسبحانه ما أعجب خليقته ..) .. ولننقل الأبيات الأخيرة منها اقتصادا فى الوقت ...

أنوء بكل الخطايا التى ... تذوب نيرانها الجلمدا
فرحماك يا بارئ الخاطئين ... أتيت إليك خفوت الندا
ويارب ها أنذا تائب ... ونفسى وروحى وقلبى الفدا
أجر ذيل الذنوب الكبار ... وأسرى وملء الطريق مدى
أصارع بالحب ما آذنى ... وأدفع بالشعر ما نكدا
وأرنو إلى مقبل من بعيد ... وأكحل عينى بومض الهدى

* * *

ولننتقل إلى مجال آخر .. فنستمع إلى شاعرنا بعد ضياع (فلسطين) .. فى أبيات من قصيدة طويلة ..

فلا تقرب الوادى فيا هو موحش
ولا تسأل الأحجار .. أخرسها الرعب